

أضواء البيان

@ 387 @ بالنفخ في الدرع الذي وصل إلى الفرج ، فصار بسببه حملها عيسى . وبين تعالى في سورة (التحريم) أن هذا النفخ في فرجها في قوله تعالى : { وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْضَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا } . والضمير في قوله (فيه) راجع إلى فرجها ولا ينافي ذلك قوله تعالى في (الأنبياء) : { وَالَّتِي أَحْضَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا } لأن النفخ وصل إلى الفرج فكان منه حمل عيسى ، وبهذا فسر الزمخشري في الكشاف الآية . .

وقال بعض العلماء : قول جبريل { رَبِّكَ لَا هَبَ لَكَ } حكاية منه لقول الله جل وعلا . وعليه فالمعنى : إنما أنا رسول ربك ، وقد قال لي أرسلتك لأهب غلاماً . والأول أظهر . وفي الثاني بعد عن ظاهر اللفظ . وقال بعض العلماء : جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله . وبهذا صدر القرطبي في تفسيره . وأظهرها الأول : والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { قَالَتِ أَنْزِلْنِي بِكُؤُونُ لِي غُلَامٌ } وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِشَرٍّ } وَلَمْ أَكُ بِغَيِّئًا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن مريم لما بشرها جبريل بالغلام الزكي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قالت : { أَنْزِلْنِي بِكُؤُونُ لِي غُلَامٌ } أي كيف ألد غلاماً والحال أنني لم يمسنني بشر . تعني لم يجامعني زوج بنكاح ، { وَلَمْ أَكُ بِغَيِّئًا } ، أي لم أكن زانية . وإذا انتفى عنها مسيس الرجال حلالاً وحراماً فكيف تحمل . والظاهر أن استفهامها استخبار واستعلام عن الكيفية التي يكون فيها حمل الغلام المذكور ، لأنها مع عدم مسيس الرجال لم تتضح لها الكيفية . ويحتمل أن يكون استفهامها تعجب من كمال قدرة الله تعالى ، وهذا الذي ذكر الله جل وعلا عنها : أنها قالت ههنا ذكره عنها أيضاً في سورة (آل عمران) في قوله تعالى : { إِذْ قَالَتِ الْفُجَاءُ لَكُنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنْ كُنَّ إِلَّا نَجَسٌ } يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ } قَالَتِ رَبِّي أَنزَلْنِي بِكُؤُونُ لِي وَلَدٌ } وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِشَرٍّ } . واقتصارها في آية (آل عمران) على قولها { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِشَرٍّ } يدل على أن مسيس البشر المنفي عنها شامل للمسيح بنكاح والمسيح بزنى . كما هو الظاهر . وعليه فقولها في سورة (مريم) : { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِشَرٍّ } وَلَمْ أَكُ بِغَيِّئًا } يظهر فيه أن قولها (ولم أكن بغياً) : تخصيص بعد تعميم . لأن مسيس البشر يشمل الحلال

